المحاضره الثانيه()

الخصائص الجغرافية للأنظمة الدينية :

يمكن تمييز الأنظمة الدينية ببعض الخصائص التالية :

1- التوزيع: أي توزيع جميع النماذج الجغرافية على مدى التوسع الاجتماعي

2 - البنية المكانية : وهي الآلية التي تنظم فيها الأديان جميع معتنقي تلك الديانات.

3- الوسائل التي يستخدمها النظام الديني لنموه عددا وحجما.

ويمكن قسمة الأديان ذات الأكثرية الساحقة في العالم إلى فئتين:

الفئةالأولى : الأديان ذات الصبغة العرقية في مظاهرها.

الفئة الثانية : الأديان ذات الصبغة العالمية الأممية.

وهنالك بعض الأنظمة الدينية التي تعتبر لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ويمكننا دعوتها الأديان الجزئية .

تختلف الأديان ذات الطابع العرقي في حجمها وامتدادها الجغرافي بالنسبة لمعتنقيها.

وهكذا ينشأ لدينا بعض الأقسام الثانوية التي يمكن تلخيصها في ثلاثة أقسام عرقية وهي:

1- الأنظمة العرقية البسيطة أو القبلية

2- الأنظمة العرقية المركبة وهي الأنظمة القومية

3- الأنظمة العرقية المعقدة

التي تتواكب مع الحضارات الرئيسية الموجودة ويجب ألا يتبادر إلى أذهاننا أن

استطاعتنا قسمة الأنظمة الجغرافية إلى أقسام محددة إنما القصد من هذه

التقسيمات الاعتراف بوجود بعض النماذج القوية الملحة وعلاقات بعض الأنظمة الدينية بالنسبة للعالم الخارجي حولها.

الأنظمة الدينية العرقية البسيطة القبلية:

إن هذه الأنظمة موجودة الآن في المجتمعات السكانية الصغيرة الحجم والعدد. والتي شاعت فيها الكتابة مؤخرا. وهي متجانسة ثقافية وليس فيها فروق ملموسة بالنسبة للمكان وترتبط هذه المجتمعات ارتباطا وثيقا بأواصر القرابة والمكان وتتصل ببعض الممارسات فيها بشكل مباشر بطبيعة البيئة والطريقة التي تستغل فيها تلك الممارسات. ويمكن وضع هذه الأديان تحت عنوان الأرواحية وهي الأديان التي تتسم مظاهرها الرئيسية بالإيمان بوجود الأرواح وعادة الأرواح الطبيعية. ولكن الأرواحية هذه ليست نظاما منفصلا عن الأنظمة الدينية بالنسبة للمجتمع مع أن الأديان العرقية البسيطة ربما كانت تتصف بعناصر مشتركة كثيرة. فهنالك الطقوس الدينية المتبعة في الصيد في كثير من المجتمعات القبلية في جنوب شرق آسيا وجنوب أمريكا وبعض أشكال الطقوس الشامانية الموجودة لدى القبائل التي تسكن في منطقة الدائرة القطبية في كلا العالم القديم والعالم الجديد. وإن حيازة مثل هذه السمات الدينية لا تعيق الشعور بوجود العلاقات الاجتماعية بين هذه القبائل. بل حدث أن تلك القبائل طالما تشددت بإظهار مظاهر الفرقة والتباعد لتأكيد شخصيتها المنفصلة وذلك باختلاق بعض الفروق البسيطة في الممارسات الدينية فيما بينها.

---

(1) الأرواحية : هو مذهب حيوية المادة وهو الاعتقاد بأن كل ما في الكون حتى الكون ذاته

عبارة عن روح أو نفس وأن الروح أو النفس هي المبدأ الحيوي المنظم للكون.

ومع ذلك فقد وجدت هنالك بعض التمايزات والفروق الجزئية بين

الأنظمة الدينية في اليونان القديمة في زمن البطاركة ولكن وجد بينهم نظام الأحلاف الدينية الذي يقصد به تعاون واجتماع جميع القبائل المتجاورة والمرتبطة بأواصر القرابة الدموية لحماية مركز من المراكز الدينية والاحتفال بالأعياد الدينية المشتركة. وإن عدد الأديان في هذه المجموعة يشمل عدة مئات بما فيها بعض الأديان الموجودة في الولايات المتحدة مثل دين الهوبي

والنافاجو . Navago أن هذه الأديان الثانوية مهملة جغرافية إلا أن Hopi

عدد معتنقيها يبلغ حوالي)(150 مليونا منتشرين فوق عدة ملايين من الاميال

المربعة فوق الكرة الأرضية هذا وقد قضي على مئات من هذه الأديان في

القرن الماضي عن طريق تقدم الديانة المسيحية والإسلام.

وقبل ألف عام من ذلك التاريخ وعند بزوغ فجر المدنية بدأت هذه

الأنظمة العرقية البسيطة القبلية في الزوال وحلت محلها

الأنظمة العرقية المركبة

. وهذه الأنظمة المركبة التي كانت جديدة بالنسبة للأمة والدولة تعكس

الحالة المعقدة للمنظمات السياسية والاقتصادية التي كانت سائدة بين أتباع

ومعتنقي تلك الديانات. وقد رافق هذه الأنظمة العرقية المركبة وجود

مجتمعات عرفت الكتابة وخصوصا كتابة التشريعات الدينية الرسمية والمسائل

الاقتصادية حسب مقتضيات حاجات المدن ونشوئها. وكان الدين العرقي

المركب ذا روابط قوية ليس بامكنة معينة أو بأشخاص معينين شان دين

المجتمعات القبلية البسيطة. ويمكننا القول أن هذا الدين كان مقصوراعلى جماعات من الناس متجانسين ثقافيا. وإذا صدف أن أراد أي شخص غريب

هذا الدين خضع هذا الشخص إلى سلسلة من التطبيعات حتى يصبح معتبرا كأحد

أفراد الشعب.

إن معظم هذه الأنظمة قديمة قد بادت ولا يعرف عنها شيء الآن سوى ما ذكر في بعض النصوص التاريخية فديانة الشنتو

وهي الديانة الفطرية القديمة في اليابان هي خير مثل على ما أوردناه وهنالك نظام ديانة المايان القديمة وكذلك مجموعة العبادات في وادي النيل كعبدةنهر النيل

والشمس والآلهة الأخرى التي كانت تؤلف نظام العبادة في مصروكذلك عدد من الأديان والعبادات المحلية القديمة في شرقي البحرالأبيض المتوسط .

أن الأديان القديمة على شواطىء البحر الأبيض المتوسط تميزت بعض المظاهر كعبادة الآلهة العظمى إلا أن هذه الأديان كانت ملتصقة بمدينة معينة أو إقليم معين. وفي أزمنة الحضارة الهلينتيةوالرومانية انتقلت بعض هذه الأديان على أيدي معتنقيها إلى أماكن جديدة

حيث جذبت بعض الأتباع بعد أن أصبحت تتسم بالسرية والغموض ولكنها

بقيت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمكان منشئها وقد انتشرت الديانة اليهودية ذات

الطابع العرقي العنصري بهذه الطريقة .ويمكننا اعتبار الديانة اليهودية دينا عنصرياعرقياوذلك لأن مؤسسات ذلك الدين وممارساته مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مجتمعهم فاليهودية هي دين

ذلك المجتمع الذي ساهم في حفظ تقاليد تلك الروابط. فتعاليم هذا الدين

وطقوسه تؤلف مجموعة فريدة محتفظة بالتقاليد ومحافظة على الهوية المميزة

لذلك المجتمع. ويمكن إظهار الشخصية العرقية لليهودية بعدة طرق. ولكن ليس هنالك من طريق أوضح من ملاحظة تلك الحقيقة وهي المسيحيين يميزون أنفسهم عن الوثنيين ونرى المسلمين يميزون أنفسهم عن الكفار الا أننا نرى اليهود بميزون أنفسهم عن سائر بني البشرويعتبرون الشخص غير اليهودي جوي goi وهذه الكلمة تحتوي فيها معنى

وهكذا أصبح اليهودي متميزا عن جميع الفئات العنصرية على هذه الأرض.

أما الأنظمة الدينية المعقدة في الهند والصين فهي عبارة عن أنظمة كبيرة تفترق عن كثير من الأديان المحلية ولكن هذه الأديان تبقى محترمة وتنال شيئا من التشجيع من قبل الأنظمة الكبرى وإن مجموع المعتقدات الصينية الدينية المركبة تحتوي بشكل تقليدي على دين رسمي يخدم بكونه عاملا هاما من عوامل الدمج والتوحيد المكانية. فالطقوس التي ترمز إلى الحاجات والمتطلبات القومية كانت تنجز على يد موظفي الدولة وهكذا أصبح الدين فرعا من فروع المؤسسات الحكومية. ولقد ساعد هذا الدين الرسمي على تقديم التعبيرات القومية لمزيج غريب من المؤسسات الدينية المختلفة التي تشمل على ممارسات محلية عالية المقام يصحبها الشعور بالاحترام والتوقير العظيم للأجداد.

وتشترك الديانة الكورية والفيتنامية مع الديانات الصينية على هذا الصعيد. وذلك بسبب

النفوذ الصيني في تلك البلدان. ولكن كل ديانة

من تلك الديانات مبنية على عرق منفصل. وهكذا يتميز الكوريون والفيتناميون

بوجود هوية شخصية قديمة تختلف عن هوية وشخصية الصينيين.

إن أكبر وأوسع هذه الأنظمة العرقية النظام الهندوسي الذي يبدووكأنه قد أصبح نظام عالميا وذلك بسبب وجود خاصة الاصطفاء الممتازة تجاه المحتوى الديني. ولكن محتوي هذه الأنظمة لا يفترق كثيرة عن محتوى المجتمع ذي الطبقات المنغلقة في الهند الذي ترتبط به تلك الأنظمة ارتباطا وثيقا مما يميز تلك الأنظمة بجعلها ذات صفات وشخصية عرقية .

إن روابط الهندوسية بالمكان يعبر عنها بالمفاهيم القديمة بقداسةالأمكنة الهندية كالكنج المقدس والمدن المقدسة مثل براهما فارتاأرض البراهمة. وفي أخفض المستويات نجد الهندوسية

مرتبطة بالمكان والقرابة الدموية بسبب طبيعة نظام الطبقات المنغلقة تلك الطبقات الاجتماعية المتميزة التي تعيش في أمكنة محصورة والتي تقع على عاتقها المسؤولية الكاملة ضمن المجتمع في ظل أرض بذاتها وأن الالتزام بعدم التمسك بهذه المسؤولية من غيرها من نماذج الأنظمة المنغلقة بما يختص بالسلوك الاجتماعي والطقوس كل هذه تؤلف ما يدعي الدهاما أو دين الطبقة المغلقة. وتبقى لكل طبقة منغلقة دينها الخاص بها.

غيرأن هنالك خيوط مشتركة تتشابك وتجري خلال قوانين الطبقات بصورة عامة. فالهندوسية تقدم لنا الطرق الكفيلة بالتخلص من نظام الطبقات المنغلقة وقيودها الدموية والمكانية ولكن هذه الطرق لا تطبق إلا على أقلية ضئيلة نسبيا.أن عناصر هذا الدين الهندوسي قد ظهرت في المراحل الأولى من الحضارة في جنوب شرقي آسيا إلا أننا لا نستطيع اعتبار هذا الدين نظام عالميا. فالعناصر الهندوسية غالبا ما تنتشر مع البوذية التي تعتبر نظام عالميا بحق.

إذ هنالك عدد قليل من التجار الهندوس والمثقفين الذين يمثلون شريحة ضيقة ولكنها ذات نفوذ بالنسبة لمجموع السكان. هؤلاء التجار والمثقفون ربما كانوا قد هاجروا ومن خلال اتصالاتهم قد اختاروا بعض عناصر الديانة الهندوسية ونشروها. ولكن من المعلوم أن بنية الطبقات المنغلقة في الهند لم تنتقل إلى الخارج وليس هنالك من ارتباطات لتلك الطبقات المنغلقة كما هي الحال في الديانة البوذية التي تغلغلت في صميم بلاد الهند فبعد عام ١٢٠٠ م بدأت البوذية والإسلام في خلق مجموعة دينية متكاملة ومندمجة في جنوب شرق آسيا. وحتى ذلك العهد بقيت العناصر الدينية ذات الأصول الهندية ممتزجة مع الأديان المحلية ذات البنية البسيطة

تشكل أنظمة أديان عرقية مركبة كالأنظمة الموجودة في آسيا الشرقية.

ويمكننا اعتبار الأديان الشرقية أنظمة دينية مندمجة لأنها مؤلفة من عناصر مستقلة فكل دين من أديان الطبقات المنغلقة. منحصر بأمور تلك الطبقة بالذات ولكن ممارسات أية طبقة تعتمد على ممارسات الأديان في الطبقات الأخرى. ففي الصين القديمة الإمبراطورية كانت الديانة الرسمية ومعابد الأديان الشعبية مع الآلهة المحلية المختصة بالطبيعة والطقوس الوطنية تكريما للأجداد كلها تؤلف خصائص تعتبر جزءا صغيرة من المجموع. ولكن عند وجود نظام مستقل مثل البوذية التي فشلت في السيطرة والهيمنة على المجموع اضطر هذا النظام قبول السير دور مستقل خلال المجتمع يشترك مع النظام الصيني الديني بأكمله. وتظهر استقلالية البوذية والأديان العرقية المحلية بصورة خاصة في اليابان حيث يتزوج معظم اليابانيين طبقا لطقوس الشنتو Shinto على يد كاهن من كهنة الشنتو ولكن عند الوفاة يحرق الميت طبقا للطقوس البوذية. وإن هذا الاستقلال لا ينطبق على العلاقات مع الأديان الغربية في العالم القديم أو الأديان القبلية الموجودة بين الأنظمة الشرقية القديمة الرئيسية.

كان نمو وانتشار هذه الأديان محدودة بسبب عرقيتها وعنصريتها والأمر الذي أثر تأثيرا مباشرة على توزيعها. فعدا عن النمو الطبعي والهجرة يمكن للأنظمة العرقية التوسع تدريجيا حول حدودها الإقليمية نتيجة للاتصالات المكثفة مع الأنظمة الدينية الأخرى وخصوصا القبلية البسيطة. وهكذا تحدث عمليات التحول التي تكون عناصر التحول العادية فيها كتل اجتماعية بأجمعها ويصبح التحول عملية ثقافية عامة. فالتحول في هذه المجالات لا يشبه

التحول إلى الديانة المسيحية أو الإسلامية إذ ربما أصبح بشكل انتقال تدريجي

لأن التحول إلى النظام الديني العرقي لا يقتضي جلب معتقدات دينية جديدة بقدر ما يجلب من العناصر العرقية.